

ملزمة حولية الإمامين

صاحبى الذكرى

أبريل ٢٠١٠

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنار الوجود بطلعة خير البرية وجعل آل بيته مصايح الدجى فى كل صبيحة وعشية . . . أما بعد . . .

فيقول المولى تبارك وتعالى فى كتابه الكريم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقال عليه السلام: (خير الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا قلوبهم مصايح الدجى يخرجون من كل غبراء مظلمة).

فهذه نفحات ربانية وأزهار ندية تتعطر بها أفئدة المتعرضين لنفحات وبركات القطب الفرد الجامع الكبير والعلم الشهير وشيخ شيوخ العصر الذى تجمعت فيه عطايا الرشد النبوية والذى ملأ الدنيا نورا وعلمًا غوث زمانه الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني المكنى بالإمام فخر الدين فى ذكرى مولده المبارك رضي الله عنه وعن خليفته الإمام الشيخ إبراهيم الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني وآل بيتهم وذرياتهم إلى يوم الدين.

### طريقته رضي الله عنه

البرهانية الدسوقية الشاذلية هى الطريقة الفريدة الممزوجة التى يرجع أصلها إلى سيدى ابراهيم الدسوقى وسيدى أبوالحسن الشاذلى وقد نقلت الطريقة من سيدى أبوالحسن الشاذلى إلى حفيده سيدى أبى المواهب الشاذلى الذى يعتبر أول من أخذ لواء هذه الطريقة الممزوجة وقد سافر رضي الله عنه إلى المغرب وفى المغرب أعطى الطريقة لسيدى أحمد زروق المغربى ثم سافر سيدى أحمد زروق إلى السودان وبذلك انتقلت الطريقة من المغرب إلى السودان وقد أعطى سيدى أحمد زروق بالسودان عهد الطريقة لسيدى أبى دنانه ومنه لحفيده الشيخ إدريس ومنه للشيخ فضل وهو من أجداد مولانا الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني ثم توالى نشر الطريقة على يد هذه الاسرة الكريمة التى تولى ريادتها الإمام فخرالدين الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وما اشتهر ولى وذاع صيته إلا له نسب إلى النبي ﷺ وهذا هو النسب الشريف للسيد الإمام الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني المكنى بفخر الدين رضي الله عنه غوث زمانه القطب الفرد الجامع الكبير المالكي المذهب والسوداني المولد سنة ١٩٠٢م والذي لحق بالرفيق الأعلى في الحادى والعشرين من جمادى الثانى سنة ١٤٠٣هـ الموافق الرابع من ابريل ١٩٨٣م فهو رضي الله عنه السيد محمد بن السيد/ عثمان ابن السيدة/ آسيا بنت السيدة/ كلثومة بنت السيدة/ تكة بنت السيد/ موسى بن السيد/ عالم بن السيد/ خضر بن السيد/ على بن السيد/ نصر الله ابن السيد/ موسى بن السيد/ عيسى بن السيد/ شريف بن السيد/ يوسف بن السيد/ عرك الدين بن السيد/ نصر الدين بن السيد/ سراج الدين بن السيد/ عون بن السيد/ هوبر بن السيد/ حسين بن السيد/ نصر الدين بن السيد/ قيس بن السيد/ نافع بن السيد/ قاسم بن السيد/ عمر بن السيد/ عمران بن السيد/ نور الدين بن السيد/ مفرج بن السيد/ الحسين بن السيد/ إبراهيم بن السيد/ محمد بن السيد/ أبو بكر بن السيد/ اسماعيل (ساكن فاس) بن السيد/ عمر بن السيد/ على بن السيد/ عثمان بن السيد/ حسين بن السيد/ محمد بن السيد/ موسى بن السيد/ يحيى بن السيد/ عيسى بن السيد الإمام/ حسن الخالص الملقب بالحسن العسكري بن السيد الإمام/ على الهادى بن السيد الإمام/ محمد الجواد بن السيد الإمام/ على الرضا بن السيد الإمام/ موسى الكاظم بن السيد الإمام/ جعفر الصادق بن السيد الإمام/ محمد الباقر بن السيد الإمام/ على زين العابدين بن سيدنا الإمام/ الحسين بن السيدة/ فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

هذا النسب منقول من نسب السيد/ حسن بن إدريس . والنسخة الأصلية عند السيد/ إدريس سليمان من أهالى صرص - وصحح بيد الأستاذ/ محمد سرالخم الميرغنى رضي الله عنه هذا النسب الشريف اعتمد من رئيس لجان تحقيق الأنساب بنقابة أشرف مصر بجمهورية مصر العربية.

## خدمته للدين وإرساؤه لدعائم التصوف

كان لمولانا الشيخ رحمته الله الفضل كل الفضل في النهوض بالتصوف والصوفية ليس في السودان فحسب بل في جميع بقاع العالم فقد نظم حضرات الذكر ونظم الإرشاد وربط التصوف الذي هو لب الدين بالحياة والمجتمع وحب في كسب الرزق عن طريق شريف وحض على أن يكون الفرد نواة صالحة في بناء أسرة كريمة ولبنة مستوية في صرح مجتمعه الذي يعيش فيه وكانت الجرعة أكبر بالنسبة للشباب من الجنسين حتى أصبح معظم أبناء الطريقة من الشباب ولعظم مكانته رحمته الله ودوره الفعال في خدمة الدين الإسلامي الحنيف ظل رحمته الله عالما عاملا يقف في ميدان الذود عن حياض العلوم الربانية والمعارف الإلهية فارسا وحيدا لا يطاول قدره الفكر ولا يسأل عنه شكر وذلك أمام جحافل الجهل المستتر في أثواب عدة تتلون كل يوم لتنال من الكتاب والسنة متسلحة بسيوف الغفلة رامية لعامة المسلمين بسهام الكفر والبدعة حتى صار الحق مردود والباطل أعلى أعلام الوجود فظهرت شمس أنوار علمه رحمته الله لتمحو كل دياجير الظلام وتعيد إلى القلوب كل العلوم التي لم يبق منها حتى العظام ، حيث قال رحمته الله:

جل من يحيي علوما بعدما بلغت عتيا

وقد أثمر مدده وانتشر النور على يد مريديه في شتى أنحاء الأرض الواسعة كما لاقت طريقته إزدهارا في بلاد لم تر الله خالقا فأصبحت بفضل الله من أهل التوحيد وفي ذلك يقول رحمته الله:

وجبت بلاد الله شرقا ومغربا بذرت بأقطار الأعاجم حنطتي

دخلت قلوبا لم تر الله خالقا فصارت بفضل الله من أهل وحدتي

وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: (يبعث الله على رؤوس الأشهاد كل مائة عام إمام يجدد

للناس أمر دينهم) .

وقد كان التجديد سمة لمولانا الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رحمته الله وذلك فيما تجلّى واضحا في درسه اليومي الذي كان يلقيه لسنين طوال فأبان عن الجديد من فقه القرآن وعلم الحديث والجديد في مفهوم الحكمة من مشروعية العبادات والأحكام وذلك جنبا إلى جنب مع ردوده على الأسئلة التي وجهت إليه في شتى العلوم من طب وفلك

وكيمياء ونورد بعضا من ذلك على سبيل المثال:

**أولا:** كإرساء قواعد التأويل إلى جانب التفسير وحسم قضية أن للقرآن ظاهرا وباطنا واستدل ﷺ بالآية ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ فلو كان للقرآن ظاهرا فقط ولا يمكن تأويل آياته كما يدعى المبطلون الذين ينكرون حديث رسول الله ﷺ: (ألا إن للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا) لدخل كل أعمى فاقد بصره النار. ولكن التأويل لهذه الآية هو السبيل الوحيد للفهم الصحيح.

**ثانيا:** إعتاد بعض العلماء تطويع المعاني القرآنية للعلوم الدنيوية كالنظرية القائلة أن الحياة بدأت من الماء ثم الزواحف (نظرية النشوء والإرتقاء لدارون) فاستدل بعض علماء الإسلام على صحة هذا الكلام بالآية ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ ولكن مولانا قال ﴿كل شيء حي﴾ فالجن ليس من الماء، الملائكة الفلكيين والعالين والروحانيون ليس لهم صلة في الخلق أو المعيشة بالماء ولكن الماء في هذه الآية بمعنى الروح وكل شيء حي به روح.

**ثالثا:** بالنسبة لعلم الحديث النبوي، فقد اتخذ بعض المغرضين علم مصطلح الحديث وسيلة إلى تكذيب الأحاديث النبوية الشريفة والإستدلال على صحة بعض الأحاديث بالعقل والعلم، ولكن مولانا الشيخ ﷺ اتخذ كلام الإمام على كرم الله وجهه إماما له في ذلك، بالرجوع إلى كتاب الله والسيرة التاريخية لإيضاح ماصح نقله عن رسول الله ﷺ وعلى سبيل المثال:

**أ -** (لا تجعلوا آخر زادكم ماء) قال مولانا الشيخ ليس هذا حديث وإذا كانت نسبته صحيحة، لأنه يخالف قوله تعالى ﴿كلوا واشربوا﴾ والتي تكررت بالكتاب ستة مرات لم يتقدم فيها الشرب على الأكل، ويخالف أيضا الحديث النبوي حيث قال ﷺ: (ثلث لطعامه وثلث لشربه وثلث لنفسه) فقد قدم الطعام على الشراب أيضا.

**ب -** والأحاديث المروية عن السيدة عائشة بالصحاح عن ليلة الإسراء والمعراج، التي تقول أنها كانت ليلتها مع رسول الله ﷺ، فقال مولانا الشيخ كيف كانت ليلتها والإسراء كان بمكة قبل الهجرة والزواج بالسيدة عائشة كان بالمدينة بعد الهجرة بست سنوات.

رابعاً: استدل البعض أن الحكمة من مشروعية الصيام هو أن يحس الأغنياء بالجوع فتنتب الرحمة في قلوبهم على الفقراء، فقال مولانا الشيخ قَلِمًا فرض الصيام على الفقراء؟ فإن الأمر ليس كذلك ولكن الأمر هو إتاحة الفرصة للروح بأن تنمو بتقليل متطلبات البدن وفي هذا المعنى يقول مولانا الشيخ رحمته الله في قصائده:

والله قد كتب الصيام بفضله كي لاتضيق الروح بالأبدان

### التبشير به رحمته الله

قد ورد في تفسير ابن كثير أن سبب نزول قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى • وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الواقعة. وهو أنه عندما نزل قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى • وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ذهب سيدنا عمر بن الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكى وقال يا رسول الله: ثلثة من الأولين وقليل منا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك يا عمر حتى آخر السورة، وبعد سنة من هذا الحديث نزل قوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى • وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال صلى الله عليه وسلم: (تعالى يا عمر فاسمع ما أنزل إلى من قرآن)، ثم قال: (ألا وإن من آدم إلى ثلثة، وأمتي ثلثة، ولن نستكمل ثلثتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله).

وفي رواية النيسابورى قال: (ولا يستتمها إلا سودان من رعاة الإبل ممن شهد أن لا إله إلا الله وإن محمدا رسول الله). إشارة للخلافة في آخر الزمن.



وفي كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر للإمام عبد الكريم بن إبراهيم الجليلى رحمته الله ما نصه:

جمعنا الوقت عند الحق بغريب من غرباء الشرق متلثما بلثام الصمديّة متزرا بإزار الأحديّة مترديا برداء الجلال متوجا بتاج الحسن والجمال مسلما بلسان الكمال فلما أجمت تحية سلامه أسفر بدره عن لسانه، فشاهدته أمودجا فهو إنيا حكما، حكما برناجما مقدرًا على سبيل الفرض، وبه لا بغيره تبرأ الذمة من رق الغرض.

ومن تراثه رحمته الله كما سيذكر أنفا كتابا أسماه رحمته الله (تبرئة الذمة في نصح الأمة).

## شهادة علماء عصره له بالفضل وطول الباع في العلم والمعرفة

كثير من علماء العصر سعوا إليه يستمعون إلى ما من الله به عليه من المواهب اللدنية والمعارف الإلهية والعلوم الشرعية، وكان أسبقهم إلى هذه المجالس فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود والشيخ أحمد حسن الباقورى والدكتور عبد المنعم النمر والدكتور طه حسين وأجمعوا على الإشادة بهذا العلم الغزير الوافر.

ومن أعلام الصوفية في زمانه سيدى قريب الله رحمته الله المشتهرة طريقته بالسودان فقد كان رحمته الله حينما يزوره الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني رحمته الله يستقبله بحفاوة بالغة وتكرر ذلك منه غير مرة مما أثار الفضول عند مرديه للسؤال عن سبب تلك الحفاوة البالغة فأفاض بالحديث عنه وعن تجديد ونحوض الصوفية في عصره وأنشأ في ذلك:

يسير بك المهيمن سير سر إلى جبروته غيب الخفاء

وفجر الوصل يطلع بعد ليل وتطلع بعده شمس الضحاء

فقد قال سيدى قريب الله أن الوصل في طريق الله يطلع فجره بمولانا الشيخ رحمته الله فمولده علامة للصوفية على بداية الإزدهار بعد ليل الإنحدار، وتطلع شمس الضحى بمولد ابنه مولانا الشيخ إبراهيم رحمته الله واستدللا على ذلك حينما تولى مولانا الشيخ إبراهيم الأمانة قال مولانا الشيخ رحمته الله في قصائده:

أيا همم كلت عن السير في الضحى يخيب بها من يرتضى برقادك

## إنتقاله رحمته الله

إنتقل رحمته الله في الحادى والعشرين من جمادى الثانى سنة ثلاث وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق ١٩٨٣/٤/٤ م.

## مصنفاته رحمته الله

- ✽ كتاب تبرة الذمة فى نصح الأمة وتذكرة أولى الألباب للسير إلى الصواب.
- ✽ كتاب إنتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان.
- ✽ ديوان شراب الوصل (وهو مجموعة من قصائده رحمته الله).
- ✽ تراثه المسجل فى الدرس اليومى.

فهو وصيّه وابنه وخليفته وكان نشر الهدى في الأرض على يديه حيث قال فيه الإمام  
فخرالدين رحمته الله:

وذا بنى الذى تمت عطيته      قد اصطفيناه من صافى عطيتنا  
ليجمع الشمل إمدادا ومرحمة      ويحمل الكل ممدودا بممتنا  
ويصبح الكل حشدا تحت رايته      بلا جفاء لمن يسعى بدمتنا  
وقال أيضا :

وصرحى باسم الله بوأى ركنه      وآية إبراهيم رفع القواعد  
ولقد كان من الركائز الأساسية في تفكك الأمة الإسلامية هو إتباع الهوى والقول بالرأى  
في كتاب الله وسنة رسول الله صلوات الله ولذلك كان دائما يحثنا رحمته الله إلى الرجوع لقول سيدنا  
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الشأن وهو: (إياكم وأصحاب الرأى فإنهم أعداء السنن  
أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فضلوا وأضلوا) وعملا بالقاعدة الفقهية: (القول بالرأى  
في القرآن حرام) وأيضا (من قال برأيه في الدين فقد هلك).

وفي أول زيارة له بالقاهرة رحمته الله أشار إلى باب الصالون الرئيسى وقال اكتبوا هنا: ﴿فأما  
الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ وكان هذا إشارة إلى بداية  
عصر جديد في الطريقة فكان رحمته الله بيننا كما وصفت السيدة عائشة رضى الله عنها  
الإمام على كرم الله وجهه فقالت: "نحن كالمعادن وعلى فينا كالحك" فإذا أردت أن  
تعرف المعدن الأصلي من الزائف فعليك بالحك.

وبالفعل بدأت تظهر المعادن الأصلية وتتساقط المعادن الزائفة الهزيلة يوما بعد يوم، في  
غير إضرار بتقدم مسيرة الطريقة إلى الأمام خطوة بعد خطوة.

ولقد تمثل هذا التقدم في تصحيح المفاهيم على يد الطريقة البرهانية خارج السودان  
ومصر فبدأ الإنفتاح التدريجى على العالم الإسلامى لإصلاح العقائد التى فسدت  
ورمت المسلمين بالشرك لأنهم أحبوا رسول الله وأهل بيته، وتأولت على الله ورسوله  
المعانى العقلية للقرآن ومهاجمة الأئمة والدعوة إلى عدم الإعتراف بالمذاهب والدأب على  
تكذيب أحاديث رسول الله صلوات الله.

فكان على عاتقه ﷺ إعداد كوادر من الشباب لإعادة المفهوم الصحيح للآيات والأحاديث وحب أهل البيت وتصحيح مفهوم الذكر والصلاة على النبي ﷺ. وتم إنشاء مراكز برهانية في كل من (مصر، السعودية، الإمارات، الكويت، العراق، ليبيا، الأردن، سوريا، الصومال، باكستان، اليمن، لبنان ... الخ) وهذا ما كان في البلاد الإسلامية.

أما عن إنتشار الإسلام على يديه ﷺ في الدول الأوربية وأمريكا، فقد رأى أن الدعوة للمسلمين ينفقون أموالا طائلة على بناء المساجد وطباعة وتوزيع الكتب دون جدوى من دخولهم الإسلام اللهم إلا أعداد ضئيلة لأن الدعوة في هذه البلاد التي لم يدخلها الإسلام لا بد أن تبدأ كما كان في عهد النبي ﷺ وهي إصلاح قلوب الناس أولا قبل إصلاح ظواهر أفعالهم، فلو صلح القلب صلح سائر الجسد والعمل وهذا لا يكون إلا بالذكر والصلاة على النبي ﷺ.

وبالفعل قد أثمر هذا المنهج الذي أرساه ﷺ بتعليم الناس أساس الطريقة فأثمر في قلوبهم فامتنعوا عن المعاصي ثم بدأوا في مظاهر العبادات.

وبعد ذلك يعلمهم المعاملات على أسس إسلامية وقد عاد بذلك ﷺ إلى بداية الإسلام، حيث بدأ الإسلام بالذكر وتطهير القلب وبعد ١٢ عاما فرض عليهم الصلاة والزكاة وبعد ذلك بين لهم المعاملات.

### إنتقاله ﷺ

إنتقل ﷺ في في السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة الموافق ٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٣ م.